(٢٤)

# آدمان لإنسان
# حقان ووجهان للعنوان
# الأزل والأبد بهما يجتمعان
# في قائم لا إله إلا الله

**حديث الجمعة**

**١٠ رجب ١٣٨٢ هـ - ٧ ديسمبر ١٩٦٢ م**

لبنتان

لبنة أتمت بنيانا، ولبنة بدأت بنيانا

لبنة أتمت بناءً لبيت مرفوع، ولبنة بدأت بناءً لبيت موضوع.

فكانت اللبنة التي أتمت بناء البيت المرفوع، هي وجه البيت المرفوع، وكانت اللبنة التي بدأت بناء البيت الموضوع، هي وجه هذا البيت الموضوع.

وإن شئت فقل

كلمتـــان

كلمة تمت بقية إنسان، وكلمة بدأت بداية إنسان.

وإن شئت فقل

عصـــران

عصر تجمع فيه الأزل وأطل بوجهه، وعصر تجمع فيه الأبد وأشرق بوجهه.

وان شئت فقل

حقـــان

لوجهي إنسان الحقيقة ينظر وجه أزله لوجه أبده، الناس فيهما بين يدي رحمته.

تناجيا، وتواصيا، وتقابلا، فكانت الكلمة الملقية، خاتم نبيين، وكانت الكلمة المتلقية، أول عابدين، فكان خاتم النبيين نبيا وآدم بين الماء والطين. صدق رسول الله، واستقام عبد الله، وتلاقي عبد الرحمن، وجها لوجه مع عبد الإحسان، فكانا في البشرية، ومن البشرية، وللبشرية.

رجـــلان

مثَّلا للناس مظهرا للإنسان في الحق المعلم، والحق المتعلم.

بهما ظهر الحق للناس، مبشرا أن الناس من الإنسان، والإنسان من الله، بين معلم ومتعلم، بين خبير بالرحمن وطالب للرحمة، بين حق من أزل الإنسان وطالب للحياة في أبد الإنسان، بين حق وملئه يصل إنسانا وملأه، ليتواجد منه بمعناه في معنى الحق ومعنى الإنسان.

بذلك قام المحمدان، واستقام العليان، وتواجد على الأرض الخليلان، والأبوان، والكلمتان، والقدسان، والروحان، والهاديان، والمهديان، فكان محمد تمام إنسان بآدم، وعليّ بداية إنسان بآدم، فتجدد بهما للإنسانية الآدمان، فتلاقى العبدان في وجه بالحق ناضر مع وجه مشرق بالحق ظاهر، ناظر ومنظور، فتلاقى وجها الحقيقة من الأزل والأبد في وجهين من الحقائق، في مظهرين من الخلائق، فكان محمد وجها للأب وقد آب معه، وكان عليّ له ابنا ووجها للأب، به يعود يوم يؤوب يوما، وهو في طريقه للإياب دوما.

هكذا كانا على ما بُلِّغنا وعلى ما عُلِّمنا، وعلى ما شهدنا، وعلى ما آمنا، مظهرا لأزلي الإنسان في قائم الإنسان، فكان بهما على ما كانا بشري الأزل للإنسان في قائمه بجديد في أبد الإنسان، لا يختلف فيه جديده عن قديمه، ولا قديمه وجديده عن قائمه، آدم قبل آدم يوصل ويدرك ربا ورفيقا أعلى، وآدم بعد آدم ينتظر ليشهد ويدرك ويقوم الناس فيه به ربا ورفيقا أعلى، وآدم في حاضر آدم يدرك وينشد ويبعث الناس به فيه ربا ورفيقا أعلى.

هكذا عرَّف القرآن معنى آدم لأبنائه، وهكذا عنون العليان وقام المحمدان ولدان لآدم، وآدمان لآدم في أبناء آدم، بشرى لأبناء آدم، وإنذارا لأبناء آدم، وقياما لأبناء آدم، وتحقيقا لأبناء آدم، وخلقا لأبناء آدم، وتماما لكلمات آدم، فكرم بذلك أبناء آدم، وتكنز عن أبنائه آدم ليقوم عليهم من وراء حجاب، ويؤوب في دوام في الأبناء، فتم بذلك الأبناء واختفى الأنبياء، فالكل له أبناء وهو عند تلبية كل دعاء.

لقد كان محمد كما عرَّف، من حيث ذاته وخلقه، لبنة هي تمام لبنات بيت النبوة من آدم في تجدده، ألم يقل لنا (وما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي إلا كبناء تم لم تنقصه إلا لبنة، فكل من رآه قال ما أجمل البناء لولا نقص هذه اللبنة، أنا لبنة البناء)[١].. (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٢]، (نزلت البسملة على كل نبي من قبلي ورفعت معه إلا أنا فقد أعطيتها لى ولأمتي)[٣] ، (أفضل ما جئت به أنا والنبيون من قبلي هو ما جئتكم به لا إله إلا الله)[٤]، (يا عَلِيّ أما يرضيك أن تكون أنت أخي)[٥]، (إنك مني بمنزلة هارون مِن موسى)[٦] ، (أنا مدينة العلم، ويا عليٌّ أنت بابها)[٧]، ويا أمتي (من كنت مولاه، فعلي مولاه)[٨]. (فتحت لعَلِيّ ألف باب من العلم، وسألت الله أن يفتح له ألف باب ففعل)[٩]، إنه بينكم عترة كتابي وصنوه، وأول عترتي وبيتها، تركت به وبكتابي الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبدا، فإنهما لا يفترقان أبدا. خالل محمد عليًّا كما خالل محمدا ربُّه، فكان محمد وربه خليلان، وكان عليٌّ ومحمد خليلان في الأعلى.

بهذا كله جاء الهدي من الله {وخلقناكم أزواجا}[١٠]، {ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة}[١١]، وبه جاء هدي الرسول إنذارا وبشرى من الله (ما أعطيته فلأمتي)[١٢]، {فاتبعوني يحببكم الله}[١٣]، {ربِ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين}[١٤]. فماذا كان من الناس؟ وماذا كان من قومه؟ وماذا كان من السلف من صالح وطالح في السابقين واللاحقين؟ هل كان لشيء من هذا بينهم موضع؟ وهل كان منهم إليهم في أمرهم مرجع؟ هل استقام الناس على ما قومهم به رسول الله وعبد الله قولا وفعلا؟ هل استقام الناس على ما جاءهم به كتاب الله، وحديث الله، وأمر الله ونهي الله، أم أنهم أخذوا ما أرضى أنفسهم وما حقق شهواتهم، وتركوا ما ثقل على نفوسهم، فإن أدركته عقولهم أوَلوه إلى ما يرضي نفوسهم وحكامهم ومن أكبروا من بينهم، حرصا على شهواتهم، ألَّا ينقطع مزيدها، وألَّا يتوقف عديدها وأن لا يتعطل مديدها؟

كان الناس، والناس على ما هم، والناس سيبقون على ما بهم مما كانوا ما بين سائق وشهيد، عليهم حافظ من أمر الله، ولهم دافع بقدرة الله وبحكمة الله، ولكن الإنسان من الناس لربه من الإنسان لكنود، خلق من نطفة فإذا هو خصيم عنيد، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا، خلق من عجل، وما زال عجولا، لا يصبر على تواصي بحق، تراه هلوعا إذا مسه الشر جزوعا، ولا يسكن مع إدراك لحكمة إذا مسه الخير منوعا، يدفع إلى الحق والخير دفعا بسائق إليه، ويحفظ من نفسه بقدرة الله الحافظة حتى لا تطغى نفسه بالهلاك عليه. {إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا}[١٥]، وما السموات والأرض بيد الله إلا إنسانيته، الإنسان في قبضته، وما السموات والأرض إلا الأكبر من خلق الناس لو كانوا يعلمون. فالناس بحاضرهم نواة خلق السموات والأرض في كبير تطورهم إلى خلقهم

الأكبر، والناس بحاضرهم ثمرة السموات والأرض في جديد وبدء أنانية تواجدهم. خلق الله السموات والأرض دارا وذاتا للإنسان، يتواجدها، ويسكنها، ويستمتعها، وينشئها، ويهدمها، ويجددها، يزيلها ويفنيها، ويبعثها ويخلقها، وله يحققها إذ يتواجدها، فيبقيها.

خلق الله الإنسان لنفسه، يفعل به، ما يفعل الإنسان بداره من السموات والأرض. جعل من الإنسان دارا له، ومكانية له، وزمانا له، وظهورا له. ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وما برز الله في شيء مثل بروزه بالإنسان، وما تعارف لكائن تعارفه للإنسان، جعل منه عليه عنوانا، قائما على كل نفس بإنسان عنوانه، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، لها ما كسبت بكرمه ورحمته، وعليها ما اكتسبت بعدله وحكمته. جعل نهاية معرفة الإنسان عن منشوده ومطلوبه من العلم عن ربه، أن ينعكس إليه ويرتد إليه البصر فيحيط بما جعل الله فيه من أمره.

لا إله إلا الله، ولا حياه بها إلا بالإنسان في الإنسان. لا إله إلا الله كل الإنسان، والإنسان كل الأشياء والأسماء، ولكن ليس الإنسان كل لا إله إلا الله. الإنسان في لا إله إلا الله بأحديتها تقومه، ولا إله إلا الله في الإنسان بعلمه يقومها. الإنسان للا إله إلا الله وجه يتعدد، ولا إله إلا الله للإنسان كل لا يتحدد. لا إله إلا الله كل الحق، كل الحقيقة، كل الله الذي لا يتعدد في كل لانهائي لا يحاط به، ولا يدرك مداه، ولكنه يعرف في الإنسان للإنسان. الإنسان له كتاب وعنه حجاب، ومنه معنى كلمته، ما قبل ظهوره وذكره.. ما قبل مذكوره ومعروفه. ما عرف الإنسان نفسه بوجهته في قديمه وقائمه عن وحدته بجديده وقادمه، وما قدر العقل معنى الإنسان من الله، وما قُدِر الله عنده حق قدره بعقله لنفسه ومبناه.

إذا قيل الأزلي، فإنما الأزلي فيه هو الإنسان، أما رب الإنسان فلا أزل له. وإن قيل الأبدي، فإنما الأبدي فيه هو الإنسان، أما رب الإنسان فلا أبد له.. وإن قيل السرمدي، فإنما السرمدي فيه هو الإنسان، أما رب الإنسان فلا سرمد له. ربه عنده قبل الأزل وأزل الآزال بالإنسان، وبعد الأبد وأبد الآباد بالإنسان، وفوق السرمد فهو الخالق والمخلوق في الإنسان.

الإنسان هو الذي يعرف معنى الله، أو الحقيقة لأنه معناها بدوامه وهي معناه في حال قيامه. ويعجز عن التعبير عما يقوم من معنى الله لجهله بنفسه، كما يعجز عن الظهور بما يشرف به بالله في قائم الله لأنه لا يتواجد مستقلا عن لانهائيه. إن الإنسان عرف الله في معرفته لعجزه عن معرفة نفسه، وقدر الله حق قدره في عجزه عن تقديره لنفسه، ويدرك الله عنده كلما أدرك أو زاد في إدراكه لنفسه، يوم يعرف معناه في الوجود، ويوم يحترم مبناه للتواجد، ويوم يجدد في دوام داره للحياة بترقي معناه في معنى الإنسان في إنسان الله، ويجدد وجوده في موجود الوجود لا يتوقف جديده ولا يمحى قديمه.

إن الإنسان يوم ينعكس إلى نفسه، فيدرك ما تكون، ويعلم ما كانت، ويعرف ما إليه تصير، فيراها في بدء غير مفارق لوصفه فيما كانت، وفيما هي كائنة، وفيما لها سيكون مجال العدم، تواجدت باسم الوجود، وأنها إلى معنى الوجود الحق تسير لتصير، وأنها في حاضرها لا تخلو من معنى من معاني الحق به تقوم، يلازمها من العدم إلى اللانهاية هو معنى الإنسان بمعروف عنها، ومعروف لها، ومعروف عندها أدركه معناه في قيامها، فعرف أن غايته في الله لا تتوقف، لا ولا تتحقق، وأنها إن تحققت فقد خاب أملها، وانعدم رجاؤها. إنه يجب أن يكون في حال مستقبلة لعطاء غير مجذوذ، من معروفه به ومجهوله عنه ومنشوده له.

بهذا جاء محمد، وبه أتم الله دينه لكل متدين ولكل طالب للدين، به قام أمر الله على صدق وعلى إيمان وعلى يقين، به انتظم الكون يتجدد في نظامه بشقيه من ظاهر الحياة ودنياها، وباطن الحياة ودنياها، على ما كان في قديم لها باستقامته لا تختل موازينها في ربط أحوالها، حتى يعرف الناس في دنيا قيامهم وفي أخرى مواصلتهم وحدتهم في الله وقيامهم في الله، فتجتمع الأشباح من ظاهرهم على الأرواح من باطنهم، وبذلك يتواجد الروح في المادة فتحيا المادة بالروح، ويتجدد آدم الأرواح في كوثر من دثار بإحياء أديم الأرض بعد موتها في أشباح أبنائها يمشون عليها مختالين. يحيي الله الأرض بعد موتها إذ ينزل عليها ماء الحياة من أبواب السماء، ويفتح لها عيون الماء من أرض الرجاء، فيلتقي ماء الأرض على ماء السماء في أشباح إنسانيتها، رحمة من الله من وراء الكل بإحاطته وفوق الكل بقيومه، فيرى الناس أنهم بفردهم وعلى ما هم بجمعهم، إنما هم دائما بين سائق وشهيد من أمره ومن حكمته، فيدرك الناس بحاضرهم أن الله أقرب إليهم من حبل الوريد، ويؤمن الناس في قيامهم أن الله قائم على كل نفس بما كسبت، يعرف الناس أنفسهم ويعرف الناس نفوسهم، يعرفون ما قدمت أنفسهم وما أخرت في قائم أمرهم، فيدور رشادهم وصلاحهم على أساس مما عرفوا لا تنقطع عنهم رحمة الله، ولا يغنيهم بعضهم بعضا من الناس من الله عما كان لهم من أمره إليهم لقيام الحق بهم. يأسفون على ما فاتهم، وينتظرون في رجاء لما يأتيهم مما فاتهم، فينظرون، وتتجدد فيهم الهمم فيساقون، وتواصلهم رحمة الله من كلمات الله ومن قضاء أمر الله لهم في أمرهم، فيحفظون من أنفسهم، ويطلب إليهم أنهم ما فاتهم يعوضون بعمل من أنفسهم به يقومون، مثقال ذرة من خير يرون وينعمون، ومثقال ذرة من شر يعلمون ويألمون.. لا يسوفون الله، ولا يسوفون أمر الله، ولا يسوفون قيام الله القائم على كل نفس، ولا يسوفون قيامة الله من سفور قيامه على أنفسهم، بكشف الغطاء لهم ووضع الأوزار عنهم، ولا يسوفون حشر الله القائم الدائم مع كل قائم به جامع عليه، ولا يسوفون ساعة الله لهم في ساعة الحياة على أرض رحمته وهي لمحة الحياة في سرمدي أنفسهم بهذا القيام الفطري، ويعلمون أنهم بأنفسهم أنفسهم يحاسبون على دوام في دائم قيام من داني الحياة بدنياهم،

أو في آخرة دنياهم بدنيا حياة لأخراهم، وعلى قائم من دائم أمره إلى الله في أنفسهم يرجعون، وفي أمر أنفسهم لا يفرطون، وربهم بين جوانحهم يسألون ويراقبون، وله يستغفرون، ولأمره بالطاعات يراقبون، ولنظره إليهم بالمعاصي يحذرون، وعن كل منهي عنه يبتعدون، وفي كل مأمور به يقومون، وفي كل طريق يشهدونها أبوابه يطرقون، ونداء الله كلما سمعوا أذانا يلبون، وبيت الله في أنفسهم، كلما وجدوا بناءً، يجددون، لبنات له وبناءً لهم يتجمعون، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، كل المسلم على المسلم حرام نفسه وعرضه وماله، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته. اشهدوه يقوم ويتقلب في الساجدين على دوام أمره، في دوام أمركم، في دوام أمر الله. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من لا إله إلا هو غيب المشهود، يا من أعطيت كل شيء خلقه، ووفيته منك هديه ليُعرف الموجود للموجود بالموجود، يا من أحييت الضمائر في ذليل النفوس، ويا من أنرت العقول في مفتقر الذوات، ويا من جددت الذوات بالحياة ليتعارف القديم للجديد، ويا من قمت على كل نفس واسعا حكيما.. اللهم بمحمد فارحمنا، وبمحمد فاقبلنا، وبمحمد فجددنا، اللهم بمحمد أوصلنا، وإلى محمد أرجعنا، اللهم خذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، اللهم انصرنا على أنفسنا حكاما ومحكومين. اللهم سدد خطانا حكاما ومحكومين، اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا حكاما ومحكومين، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين. اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم أعلِ كلمة الحق والدين، وانشر رحمتك على المؤمنين بالمؤمنين، وعمم رحمتك بمن جعلته رحمة منك في العالمين، وأنزل السكينة على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا برسول رحمتك يا رب العالمين.

## أضواء على الطريق

السيد الروح المرشد برش يتحدث عن محترفي الدين: (لقد عملنا مدة قرن تقريبا لكي نأتي لعالمكم بهذه المثل العليا المؤسسة على الحقائق الروحية التي يجب أن تعيش لأنها هي أساس الأمر الجديد الذي يقام فيما بينكم. لقد قاومنا وحاربنا المعارضة والعداء والخصام من هؤلاء الذين كان يجب أن يكونوا حلفاءنا الكبار.

وبدلا من أن يستقبل هؤلاء الذين يرغبون تعليم أتباعهم الأمور الدينية، هذا الحق العظيم، بالأذرع المفتوحة، شهّروا بنا بكلمات الحقد خائنين كل المبادئ التي طالما أعلنوا أنها جاءت من مؤسس دينهم. إنهم لم يظهروا حبا ولا تسامحا. لقد وصفونا فعلا بأننا رسل الشيطان، واتهمونا بأننا ملائكة

الظلام نحاول متنكرين بأن نغوي الإنسان عن طرق الاستقامة إلى الأعمال السيئة، إلى كبائر الرذائل والأنانية.

زعما من هذه المعارضة المرة فالحقائق التي نقف من أجلها الآن تحيط بنطاق عالمكم، ولقد نكصت القوى التي عارضتها على عقبيها. إننا نرفض شريعتهم وتعاليمهم. إننا نرفض أن تحل بعالمكم - كما يزعمون - لعنة من الروح العظيم الذي هو خلاصة الحب والعدل والرحمة والحكمة. نرفض أن تكون هناك ضريبة دم قاسية ضرورية لتهدئة غيظ الروح العظيم، نستنكر وجود أي تداخل مهما كان مع القانون الطبيعي. ونكفر بكل أساس علمهم اللاهوتي الذي أرجع عقارب ساعة تقدم الإنسان إلى الوراء، وعارض كل اكتشاف، وكل اختراع، وكل نجاح لم يوافق أفقهم الضيق.

وبدلا من ذلك نحن نعلن أن الوحي مطرد التقدم، وأن كل معلم إنما يرتشف قليلا من خزان الحكمة الإلهية الأبدي).

## مصادر التوثيق والتحقيق

١ إشارة إلى الحديث الشريف: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة، قال فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين." أخرجه البخاري ومسلم

٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) أخرجه أحمد والبخاري، والبزار باختلاف يسير.

٣ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.

٤ من الحديث الشريف: "أفضل الدعاء دعاءُ يومِ عَرَفَة، وأفضل ما قلتُ أنا والنَّبِيون من قبل: لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له." أخرجه مالك في الموطأ، والبيهقي.

٥ إشارة إلى حديث شريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بعد الهجرة، فقال لسيدنا عليّ: "أنت أخي في الدنيا والآخرة.". أخرجه الترمذي، وابن عدي، والحاكم، كما الحديث الشريف: "أنت مِنِّي بمَنزلَةِ هارونَ مِن موسى إلا أنَّه ليس بَعدي نَبيٌّ". صحيح مسلم وصحيح البخاري.

٦ حديث شريف جاء في أكثر من صياغة: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِعَلِيٍّ: أمَا تَرْضَى أنْ تَكُونَ مِنِّي بمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى". صحيح البخاري. - "أنت مِنِّي بمَنزلَةِ هارونَ مِن موسى إلا أنَّه ليس بَعدي نَبيٌّ". أخرجه النسائي.

٧ حديث شريف: "أنا مدينةُ العلمِ، وعليٌّ بابُها، فمَنْ أرادَ العلمَ فليأتهِ منْ بابِهِ". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم..

٨ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، بيدِ عليٍّ رضي الله عنه، فقال ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسِهم قالوا بلى قال ألستُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه قالوا بلى قال فهذا وليُّ من أنا مولاه اللَّهمَّ والِ من والاهُ اللهمَّ عادِ من عاداهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.

٩ استلهاما من مقولة للإمام علي بن أبي طالب: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علّمني ألف باب من الحلال والحرام، وممّا كان وممّا يكون إلى يوم القيامة، كلّ باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ - محمد الريشهري - ج ١٠

١٠ سورة النبأ - ٠٨.

١١ سورة لقمان - ٢٨

١٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٣ سورة آل عمران - ٣١

١٤ سورة الأنبياء - ٨٩

١٥ سورة فاطر - ٤١